مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
البنك العربي - ARAB BANK
تأسست في عمان عام ٢٠٠٦

القصة الفائزة
بالمرتبة الثالثة
لدورة العام
2018-2017

فكرة لتغيير العالم

تأليف: رند صابر
رسوم: هيا حلاو

فكرة لتغيير العالم

الناشر: مؤسسة عبدالحميد شومان

تأليف: رند صابر، رسوم: هيا حللو

فكرة لتغيير العالم

الناشر: مؤسسة عبدالحميد شومان
تأليف: رند صابر، رسوم: هيا حللو

الطبعة الأولى 2019
© حقوق الطبع محفوظة.

مؤسسة عبد الحميد شومان
هاتف: 4633627 6 962+ / 4633372 6 962+
فاكس: 4633565 6 962+
صندوق بريد 940255 عمان 11194 الأردن
بريد إلكتروني: AHSF@shoman.org.jo
www.shoman.org

الآن ناشرون وموزعون
المدير العام: جعفر العقيلي.
الأردن، عمّان، شارع الملكة رانيا، بجانب صحيفة "الرأي"، عمارة البيجاوي (69)، ط 3.
هاتف: 7162720 79 962+ / 5620722 6 962+
بريد إلكتروني: alaan.publish@gmail.com
www.alaanpublish.com

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنفه ولا يعبّر هذا المصنّف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية الأردنية: (2018/10/5201)
ISBN 978-9957-19-066-8

مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
ARAB BANK - البنك العربي

الآن ناشرون وموزعون
ALAAN PUBLISHERS & DISTRIBUTORS

يا جَارُ..

هذا الصَّباحُ يَبْدُو مُخْتَلِفًا، يُذَكِّرُنِي بِصَبَاحٍ آخَرَ مُخْتَلِفٍ أَيْضًا مَرَّ قَبْلَ ثَلاثِ سَنَواتٍ، كُنْتُ أَقِفُ حِيْنَها عَلى الشُّرْفَةِ عِنْدَمَا لَوَّحَ لِي مِنْ بَعِيْدٍ شَخْصٌ لا أَعْرِفُهُ، تَجَاهلْتُهُ أَوَّلَ الْأَمْرِ، وَنَظَرْتُ إلى الجِهةِ الأُخْرى، فَرُبَّمَا لا يَقْصِدُنِي... رُبَّمَا يُلِوِّحُ لِشَخْصٍ ثَالِثٍ لا أَرَاهُ، لَكِنَّهُ اقْتَرَبَ يَتَقافَزُ: "صَبَاحُ الْخَيْرِ يا جَارُ". عَرَّفَنِي الجَارُ الظَّرِيْفُ باسْمِهِ، هُوَ مَرْزُوقٌ، وَالْمُدْهِشُ في الْأَمْرِ أَنَّنَا صِرْنَا صَدِيْقَيْنِ بَعْدَ تَبَادُلِ الْأَسْمَاءِ.

كانَ مَرْزوقٌ قدْ انْتَقلَ في اللَّيْلةِ السَّابِقةِ إلى شَارِعِنا، نَحِيْفٌ طَوِيْلٌ بِشَعْرٍ أَسْوَدَ مُجَعَّدٍ، يَكَادُ يَخْتفي خَلْفَ عَمُودِ الإنارَةِ لوْ وَقفَ مُلاصِقًا لهُ، إلَّا أنَّ شَعْرَهُ يَفْضَحُهُ. على عَكْسِي فإنَّ مَرْزُوقًا يُصَادِقُ كُلَّ مَنْ يَراهُ، عَرَّفْتُهُ عِنْدَمَا انْتَقلَ لِلحَيِّ على عَدَدٍ مِنْ أَصْدِقَائِي، وَعَرَّفَني بَعْدَها على خُمْسِ سُكَّانِ المَدِيْنةِ. الانْتِقَالُ إلى مَكانٍ جَدِيْدٍ صَعْبٌ على أيِّ حَالٍ، حَتَّى على مَرْزُوقٍ، فَمَعَ أَنَّهُ يُصادِقُ الْجَمِيْعَ إلّا أَنَّكَ سُرْعَانَ ما تَعْرِفُ أَنَّهُ يُخفِي سِرًّا، وَسِرًّا مُزْعِجًا أَيْضًا، هُوَ لا يُحِبُّ الكَلامَ عَنِ المَكانِ الَّذي جَاء مِنهُ مَثَلًا، وَلِماذا انْتَقَلَ.. وَيَكَادُ لا يَتَكَلَّمُ عنْ نَفْسِهِ أَبَدًا. انْتَقلَ مَعْ أُسْرَتِهِ إلى الْحَيِّ بَعْدَ مَوعِدِ نَومِي يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَقَابَلْتُهُ صَباحَ الخَمِيْسِ. هكَذا فَقَطْ، وعَلى عَكْسِ قِصَصِ مَرْزُوقِ الطَّرِيْفَةِ عَادةً... تَبْدُو قِصَّةُ انْتِقَالِهِ مُحْزِنَةً.

فكّرْ مَعي!

لمْ تكَدْ ثَلاثَةُ أشْهُرٍ تَمُرُّ على الخُطَّةِ الَّتي فَكَّرْنا فِيها وَنَفَّذْناها مَعًا حَتَّى جاءني هذا الصَّباحُ المُخْتلِفُ... يَسْألُني كَيْفَ سَأُمْضِي أيّامِي بِلا خُطَطٍ، وَلا صَديْقٍ عَزيْزٍ كَمَرْزُوقٍ. كانَ زائدُ النَّشاطِ حِيْنَها قدْ أَسْنَدَ لنَا مَهمَّةَ تَغْيِيْرِ شَيءٍ سَلْبِيٍّ واحِدٍ في الْمَدْرَسةِ، فَأَسْنَدْنَا لِأَنْفُسِنا مَهمَّةَ تَغْيِيْرِ المَدِينةِ! قالَ إنَّ عَمَلًا صَغِيْرًا واحِدًا قدْ يَحْمِلُ أثَرَ تَغْيِيْرِ العَالمِ، فَحَمَلْنا على أنْفُسِنا مَهمَّةَ تَغيِيْرِ الْكَوْكَبِ، وَرُبَّمَا كَوْكَبَيْنِ مُجاوِرَيْنِ. كانتْ تَنْقُصُنَا الْخُطَّةُ فَقَطْ.

الْتَقَيْتُ مَرْزوقَ وَقْتَها لِنَجْلِسَ كَعَادَتِنا على الأرْضِ أمَامَ المِقْعَدِ الخَشَبِيِّ في حَديْقةِ المَدْرَسةِ... لا عَليهِ، لَطَالَمَا قالَ مَرْزُوقٌ إنَّ الأفْكارَ الجُنونيَّةَ تَقْتَربُ مِنْهُ أكْثَرَ كُلَّمَا اقْتَربَ مِنَ الْأَرضِ، وَعَليْنَا الآنَ أنْ نَبْتَكِرَ أكْثَرَها جُنُونًا على الإطْلاقِ. اقْتَرَحَ مَرْزُوقٌ أنْ نَرْسُمَ على جُدْرانِ المَدْرسةِ رُسُوماتٍ كَرْتُونيَّةً وَفُكَاهِيَّةً، سَتُصْبِحُ الْمَدْرسةُ أكْثَرَ ظُرْفًا هكَذا! سألَني مَرْزوقٌ إذا ما كانَتِ الْفِكْرةُ كافِيةً... قُلْتُ هذا إذا وَافَقَتِ الْمَدْرَسةُ فَمُعْظَمُ اللَّوحَاتِ هُنا عِلْميَّةٌ. كُنْتُ أشْعُرُ بالْجُوعِ فَأكْمَلْتُ: "رُبَّما بإمْكانِنا أنْ نَصْنعَ الكَثيْرَ مِنَ الشَّطائِرِ وَنُوَزِّعَها على الجَميْعِ، الشَّطائِرُ لَذِيْذةٌ وَتُغيِّرُ العَالمَ". أضْحَكَتِ الْفِكْرةُ مَرْزوقًا فهوَ يُحِبُّ الشَّطائِرَ أيْضًا! ثُمَّ زَحَفَ بِجَسَدِهِ تَحْتَ المِقْعَدِ وَاسْتَلْقى على الأرْضِ. جَارَيْتُهُ، أعْرِفُ أنَّهُ يَفْعَلُ ذلكَ حَتَّى نَقْتَربَ مِنَ الأرْضِ أكْثَرَ وتأتِيْنا الأفْكَارُ، ها هِيَ نَظَراتُ بَقيَّةِ الطُّلابِ تَتْبَعُنا وَتَضْحَكُ، معَ ذلكَ لا فِكْرةَ مَجْنونَةَ حَتَّى الآنَ.

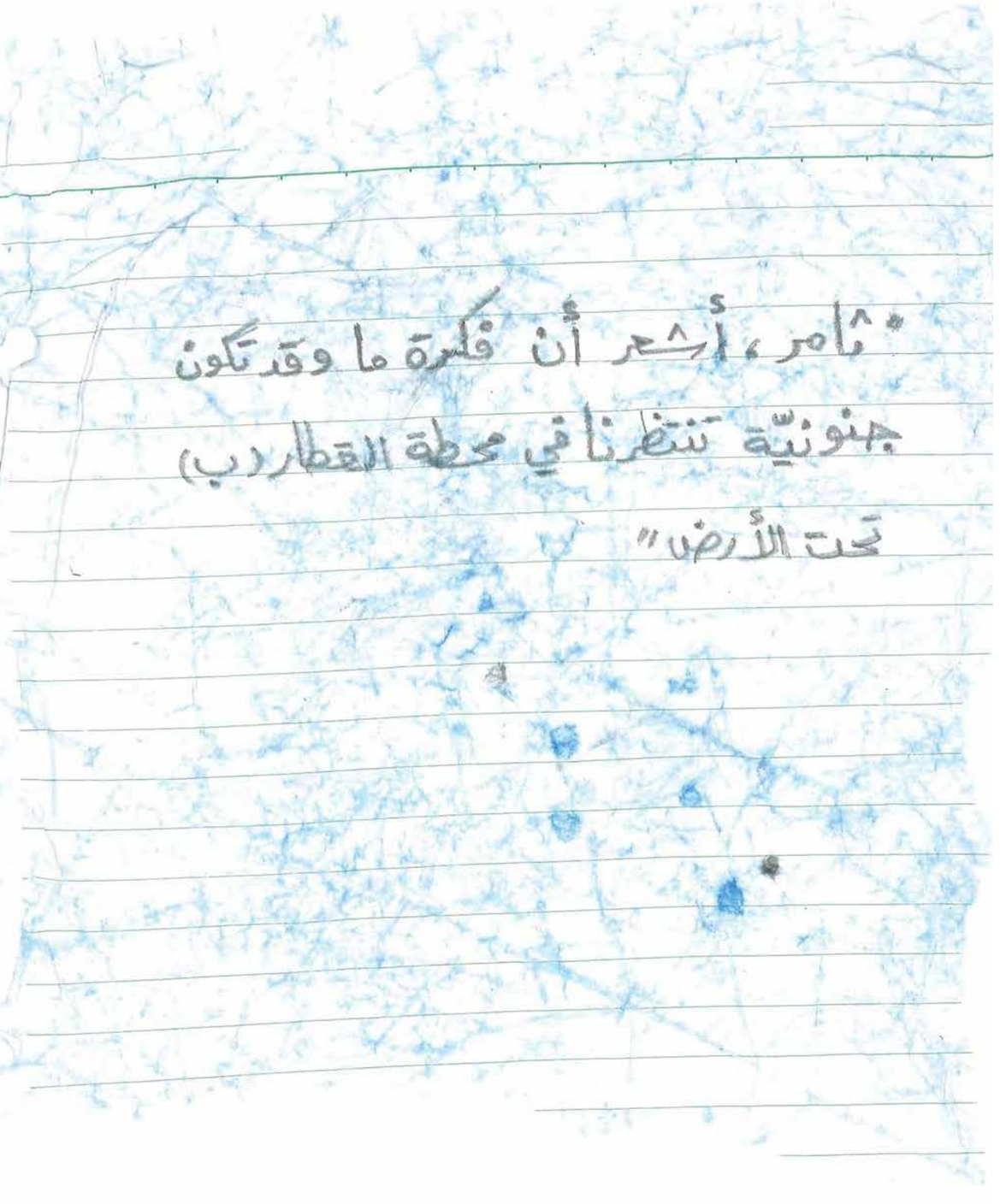

فكّرْ مَعي!

في الصَّفّ أَرْسَلَ إليَّ مَرْزوقٌ إحْدَى رَسائِلِهِ الْمَعْهُودَةِ، يُكوِّرُ كُرَةً وَيَشُدُّها على المِسْطَرةِ ثُمَّ يُطْلِقُها عَلَيَّ حِيْنَ لا يَكونُ المُعَلِّمُ مُنْتَبِها. وَقَعَتِ الرِّسَالةُ على الأَرْضِ وَاضْطُرِرْتُ لِأَداءِ مَسْرَحِيَّةِ سُقُوطِ الْقَلَمِ، بَعِيْدًا عَنِّي حَتَّى أُحْضِرَها، قَرَأْتُ الرِّسَالةَ: "ثامِرٌ، أَشْعُرُ أَنَّ فِكْرَةً ما وقدْ تكونُ جُنونيَّةً تَنتَظِرُنا في مَحَطّةِ القِطارِ (ب) تَحْتَ الْأَرْضِ". يُقْلِقُني وَيُضْحِكُني في الوَقْتِ نَفْسِهِ هوَسُ مَرْزُوقٍ بالأَفْكارِ الَّتي تَأْتِي كُلَّمَا اقْتَرَبْنَا مِنَ الْأَرْضِ، وَالآنَ يُرِيْدُ أَنْ يَنْزِلَ تَحْتَها! أَشَرْتُ لَهُ مُوافِقًا، وَمُحَدِّدًا السَّاعَةَ الخَامِسَةَ وَالنِّصْفَ قَبْلَ أَنْ يَطْرُقَ المُعَلِّمُ على مَكْتَبي بِقَلَمِهِ، مُطَالِبًا أَنْ أَنْتَبِهَ لِلدَّرْسِ.

تَحْتَ الأَرْضِ

رَاقَبْنَا رُكَّابَ القِطَارِ المُغَادِرِيْنَ وَالعَائِدِيْنَ في المَحَطَّةِ (ب)، لا يَبْدُو أنَّهُمْ يَنْتَبِهُونَ لِفَتَيَيْنِ مِثْلِنَا يَجْلِسَانِ على الأَرْضِ تَحْتَ الأَرْضِ، فَهُمْ على عَجَلةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، خُصُوصًا وَأنَّ هُناكَ فتىً ثَالِثًا يَجْلِسُ بجِوارِنا، وَيَفْرِشُ أَمَامَهُ مِنْدِيْلًا عَلَيْهِ قَلائِدُ فُلٍّ وَنَوْعٌ مِنَ الْعِلْكَةِ، ظَلَّ يُرَاقِبُنَا بِانْزِعَاجٍ أَوَّلَ الْأَمرِ كَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ أَنْ نُخْرِجَ شَيْئًا لِنَبِيْعَهُ مِثْلَهُ، وَعِنْدَمَا لَمْ نَفْعَلْ تَجَاهَلَنَا.

مَلَلْنَا مِنَ الْانْتِظَارِ مِنْ دُونِ أَنْ تَأْتِيَنَا فِكْرَةٌ مَجْنُونَةٌ، وَلا فِكْرَةٌ عَادِيَّةٌ حَتَّى! الْتَفَتُّ إلى البَائِعِ بجِوارِنَا وَتَبَسَّمْتُ فَأَشَاحَ بِنَظَرِهِ فَوْرًا، وَبَدَا عَلَيْهِ الانْزِعَاجُ أَكْثَرَ. سَأَلَهُ مَرْزُوقٌ إلى أيِّ مَدْرَسَةٍ يَذْهَبُ فَلَمْ يَرُدَّ. جَمَعَ المِنْدِيلَ على القَلائِدِ وَالْعِلْكَةِ وَوَقَفَ ثُمَّ مَضَى خَارِجًا مِنَ المَحَطَّةِ.

تَحْتَ الأَرْضِ

"لِنَتْبَعْهُ يا ثامِرُ"، و"إلى أينَ؟"، قالَ مَرْزُوقٌ: "فَقَطْ لِنَرى أيْنَ يَذْهَبُ". وَقَفَ الفَتَى يَبِيْعُ عِنْدَ إشَارَةِ المُرورِ القَرِيْبَةِ.

بَدَأْتُ أَشْعُرُ بِالْمَلَلِ، لَكِنَّ مَرْزُوقًا لا يُرِيْدُ أنْ نَعُودَ الآنَ، يَقُولُ إنَّ وَراءَ هذا الفَتَى قِصَّةً مَّا، وإلَّا فَلِمَاذا لا يُجِيبُنَا. "هلْ تَحْمِلُ أيَّ نُقُودٍ يَا ثَامِرُ؟"، "لَيْسَ كَثِيْرًا، كَمَا أنّي أَدَّخِرُها لِشِراءِ حَلْوَى"، "أَعِرْنِي رِيَالًا واحِدًا لِلعِلْكَةِ". سَلَّمْتُ الرِّيَالَ لِمَرْزُوقٍ الَّذي خَطَفَهُ مِنْ يَدِي وَأَسْرَعَ نَحْوَ البَائِعِ. "ما هِيَ مَدْرَسَتَكَ؟". نَظَرَ الْفَتَى مُتَعَجِّبًا... "هلْ تُرِيْدُ شِرَاءَ شَيءٍ؟ أُرِيْدُ جَوَابًا"، "أَنَا مَشْغُولٌ وَالْمَدْرَسَةُ لِلصِّغَارِ". "إذًا أَعْطِنِي قِطْعَةَ عِلْكَةٍ بِالنَّعْنَاعِ"، دَفَعَ لَهُ مَرْزُوقٌ، وَالْتَفَتَ عَائِدًا إليَّ وعَلى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ عَرِيْضَةٌ. سِرْنَا عائِدِيْنَ مَعًا إلى حَيِّنا وَمَرْزُوقٌ يَتَقَافَزُ كَمَا يَفْعَلُ عِنْدَمَا تَلْمَعُ في عَيْنيهِ آثَارُ فِكْرَةٍ جَدِيْدَةٍ... أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إنَّ أَفْضَلَ الأَفْكَارِ تَأتي كُلَّمَا اقْتَرَبْنَا مِنَ الأَرْضِ؟

تَنْبُتُ الأفْكارُ

أخْبَرَني مَرْزُوقٌ بِالْفِكْرَةِ أخِيْرًا: "سَنُسَاعِدُ البَائِعَ الصَّغِيْرَ، فَلا يَبْدُو أنَّهُ يَسْتَطِيْعُ الذَّهابَ إلى المَدْرَسَةِ". قُلْتُ: "رُبَّمَا يَسْتَطِيعُ أنْ يَدْخُلَ مَدْرَسَتَنَا"، "رُبَّمَا! عَلَيْنَا أنْ نُحَاوِلَ على أيِّ حَالٍ". عَرَضْنَا الفِكْرَةَ على زَائِدِ النَّشَاطِ: "أَلَيْسَ هذا أمْرًا مُؤثِّرًا! نُدْخِلُ فَتَىً في مِثْلِ سِنِّنَا إلى المَدْرَسَةِ، وَبِذَلِكَ نُغَيِّرُ عَالَمَ شَخْصٍ وَاحِدٍ عَلى الأَقَلِّ، أَلَيْسَتْ فِكْرَةً مَجْنُونَةً وَرَائِعَةً؟".

كانَ زَائِدُ النَّشَاطِ يَسْتَمِعُ إلَيْنَا بِاهْتِمَامٍ وَيَبْتَسِمُ: "حَقًّا فِكْرَةٌ جَمِيْلَةٌ! لَكِنْ كَيْفَ؟ أغْلَبُ الفِتْيَانِ في الشَّارِعِ لا يَحْمِلُونَ أوْرَاقًا ثُبُوتِيَّةً، كَمَا أنَّهُمْ غَالِبًا ما يَعْمَلُونَ كَيْ يُعِيْلُوا أنْفُسَهُمْ أوْ أُسَرَهُمْ، فِكْرَتُكُمْ جَمِيْلَةٌ حَقًّا، وَكُنْتُ أتَمَنَّى أنْ تَتَحَقَّقَ، لَكِنْ أعْتَقِدُ أنَّها سَتَكُونُ صَعْبَةً عَلَيْكُمْ، ماذا لَوْ قُمْتُمْ مَعْ بَعْضِ زُمَلائِكُمْ بِتَنْظِيْفِ الْحَدِيْقَةِ أوْ دَهْنِ سُورِ الْمَدْرَسَةِ؟ هذهِ المَشَارِيْعُ كَبِيْرَةٌ وَتَحْتَاجُ إلى أَكْبَرِ عَدَدٍ مُمْكِنٍ!". غَيَّمَتْ على رُؤُسِنَا سَحَابَةُ إحْبَاطٍ مُفَاجِئَةٌ، حَزِنْتُ مِنْ قَلْبِي على الفِكْرَةِ وعَلى إنْجَازِنا الَّذي كانَ لِيُغَيِّرَ العَالَمَ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ! وَأطْرَقَ مَرْزُوقٌ يُفَكِّرُ. كُنْتُ على وَشْكِ أنْ أُسَجِّلَ في فَرِيْقِ دَهْنِ السُّورِ عِنْدَمَا سَحَبَنِي مَرْزُوقٌ مِنْ طَرَفِ قَمِيْصِي قَائِلًا لِلرَّائِدِ: "سَنُفَكِّرُ في الخَيَارَاتِ ثُمَّ نَعودُ". قُلْتُ: "لِمَ لا نُسَجِّلُ الآنَ؟"، فَرَدَّ بِأنَّ عَلَيْنَا أنْ نَجْمَعَ مَزِيْدًا مِنَ المَعْلُومَاتِ مِنْ تَحْتِ الأرْضِ!

تَنْبُتُ الأفْكَارُ

عُدْنَا إلى المَحطَّةِ (ب) يَوْمَها لكِنَّنَا لَمْ نَجِدْ بَائِعَ الفُلِّ وَالْعِلْكَةِ، كان هُناكَ فَتىً آخَرُ أصْغَرُ سِنًّا وَيَبِيْعُ المَنَاشِفَ! أيْن ذَهبَ الأوَّلُ؟ خَرَجْنَا مِنْ مَحطَّةِ القِطَارِ فَرُبَّمَا يَكونُ عِنْدَ الإشَارَةِ لَكِنَّنَا لَمْ نَجِدْهُ، عُدْنَا إلى المَحطَّةِ نَسْألُ الفَتَى الأصْغَرَ عَنْهُ: "هلْ تَعْرِفُهُ؟". تَوَجَّسَ الصَّغِيْرُ مِنْ سُؤالِنا وَابْتَعَدَ، اقْتَرَبْنَا مِنْهُ مُؤَكِّدِيْن أنَّنَا نُرِيْدُ أنْ نَعْرِفَ مَكَانَهُ فَقَطْ، لكِنَّهُ قال خَائِفًا بِأنَّهُ لا يَدرِي! لَمَّا ابْتَعَدْنَا عَنْهُ خَرَجَ مِن المَحطَّةِ، وَشَدَّنِي مَرْزُوقٌ مِنْ ذِرَاعِي مَرَّةً أُخْرَى، هيَّا بِنَا سَنَتْبَعُهُ، تَنَهَّدْتُ، أحْتَاجُ أصْدِقَاء جُدُدًا بِأفْكَارٍ أقلَّ جُنُونِيَّةً... هكَذا فَكَّرْتُ وَقْتَها وَلَمْ أكُنْ أعْرِفُ أنّي سَأنْدَمُ على مُجَرَّدِ الفِكْرَةِ لاحِقًا.

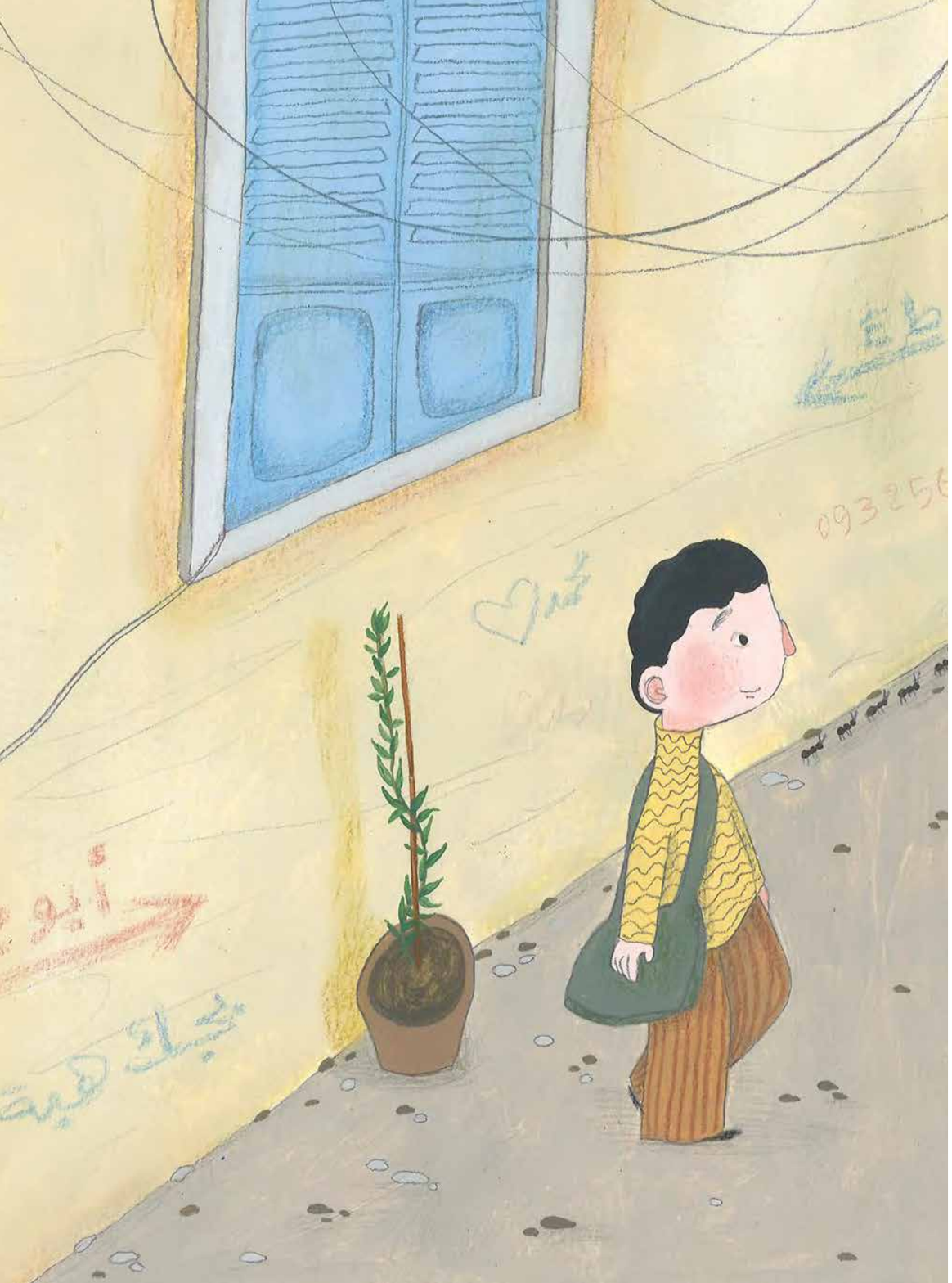

اطرُقْ كُلَّ الأبْوَابِ

حَافَظْنَا على مَسَافةٍ قَرِيْبَةٍ بِمَا يَكْفِي مِنْ بائِعِ المَنَاشِفِ لِئَلّا نِفْقِدَهُ، وَبَعِيْدةٍ بِمَا يَكْفِي لِئَلَّا يِلْحَظَ وُجُودَنَا. سِرْنَا خَلْفَهُ طَوِيْلًا. خَرَجَ مِنَ الشَّوارِعِ الَّتي نَحْفَظُها إلى أُخْرَى ضَيِّقَةٍ وَمُوْحِشَةٍ، بَدَأْنَا نَشْعُرُ بِالْقَلَقِ، لَكِنَّنَا تَابَعْنَاهُ حَتَّى وَصَلَ إلى مَبْنَىً مُتَهالِكٍ وَدَخَلَ. مَاذا نَفْعَلُ الآنَ؟ قَدْ يَكُونُ مِنَ الخَطَرِ أنْ نَقْتَرِبَ مِنْ هذا المَبْنَى، لا نَعْرِفُ مَا الَّذي يَحْدُثُ في الدَّاخِلِ. جَلَسَ مَرْزُوقٌ لِيُراقِبَ وَأنَا أُطَالِبُهُ بِالْعَوْدَةِ حَالًا.

اطرُقْ كُلَّ الأبْوَابِ

بَعْدَ قَلِيْلٍ أضَاءتْ إحْدَى النَّوَافِذِ، يَبْدُو أنَّ بَائِعَ المَنَاشِفِ دَخَلَ هُنَاكَ. حَمَلْتُ حَجَرَيْنِ صَغِيْرَيِّ الحَجْمِ وَألْقَيْتُ أحَدَهُمَا على النَّافِذَةِ، رُبَّمَا يَرُدُّ عَلَيْنَا بَائِعُ المَنَاشِفِ هكَذا. لَمَّا لَمْ يَأْتِ أحَدٌ إلى النَّافِذَةِ، هَمَمْتُ بأنْ أُلْقِي الحَجَرَ الثَّانِي وإذَا بِسَيِّدَةٍ تَفْتَحُ النَّافِذَةَ في اللَّحْظَةِ نَفْسِها وَيَكَادُ يُصِيْبُها الحَجَرُ. "يَا وَلَدُ! ألا تَسْتَحِي.. سَأُرَبِّيْكَ الآنَ"، وَقَفْتُ أعْتَذِرُ بِخَجَلٍ بَيْنَمَا يَكْتُمُ مَرْزُوقٌ ضِحْكَتَهُ. فَجْأةً لَمَحْنَاهُ. كانَ بائِعُ الفُلِّ وَالْعِلْكَةِ يُراقِبُ المَوْقِفَ مِنْ نَافِذَةِ الدَّوْرِ الرَّابِعِ ضاحِكًا. عِنْدَمَا لاحَظَ أنَّنَا رَأيْنَاهُ أغْلَقَ نافِذَتَهُ سَرِيْعًا وَاخْتَفَى، أسْرَعْتُ معْ مَرْزُوقٍ إلى الدَّوْرِ الرَّابِعِ نَطْرُقُ الأبْوَابَ الَّتِي نَعْتَقِدُ أنَّنَا سَنَجِدُهُ خَلْفَها، لَمْ يُرِدْ أحَدٌ أنْ يَفتَحَ لَنَا أوْ يُسَاعِدَنَا، وَالمَكَانُ مُوحِشٌ، الكِتَابَاتُ تَمْلأُ الجُدْرَانَ، وَهُنَاكَ رَائِحَةٌ غَرِيْبَةٌ في المَكَانِ، وَأخِيْرًا فُتِحَ بَابٌ وَظَهَرَتْ مِنْ خَلْفِهِ فَتَاةٌ صَغِيْرَةٌ، سَألْنَاها عَنْ بائِعِ الْعِلْكَةِ والْفُلِّ... فَقَالَتْ: "تَقْصِدُونَ أيْمَنَ؟". بَدَتْ عَلَيْنَا الدَّهْشَةُ، نَظَرْنَا إلى بَعْضِنَا لكِنَّ الصَّغِيْرَةَ سَمَحَتْ لَنَا بِالدُّخُولِ، تَفَاجَأْنَا بِذَلِكَ، كَمَا تَفَاجَأَ البَائِعُ أيْضًا عِنْدَمَا رَآنَا فِي وَسْطِ بَيْتِهِ: "مَاذَا تَفْعَلُونَ هُنَا؟ مَاذَا تُرِيْدُونَ مِنَّا؟". اعْتَذَرْنَا عَنِ التَّطَفُّلِ وَأخْبَرْنَاهُ أنَّنَا كُنَّا نَبحَثُ عَنْهُ في كُلِّ مَكَانٍ.

بَعْدَمَا هدَأَ أيْمَنُ أخِيْرًا وَأخْبَرْنَاهُ بِالْفِكْرَةِ الَّتِي نَوَدُّ تَنْفِيْذَهَا لِنَشَاطِ المَدْرَسَةِ، تَبَسَّمَ بِحُزْنٍ، وَجَلَسَ مَعَنَا يُخْبِرُنَا عَنْ حَيَاتِهِم هُنا، خَالَتُهُ تَعتَنِي بِهِمْ وَبِأطْفَالٍ آخَرِيْنَ، لَكِنَّها نادِرًا ما تَكُونُ في البَيْتِ لأنَّها تَعْمَلُ، وَعَلَيْهِم أيْضًا العَمَلُ حَتَّى يَتَمَكَّنُوا مِن المُسَاعَدَةِ في دَفْعِ الإيْجَارِ وَشِرَاءِ الطَّعَامِ، بالإضَافَةِ إلى مُشْكِلَةِ إثْبَاتِ الهُوِيَّةِ، فَهُمْ مُهاجِرُونَ جَاؤُوا إلى البِلادِ هرَبًا مِنَ الحَرْبِ، لا يُمْكِنُهُمْ أبَدًا أنْ يَذْهَبُوا إلى المَدْرَسَةِ. صَمَتُّ أُفَكِّرُ، لَكِنَّ مَرْزُوقًا قال إنَّهُ قَدْ يَعرِفُ طَرِيْقَةً لِلمُسَاعَدَةِ في مَوْضُوعِ الْهُوِيَّةِ، وَسَنُفَكِّرُ مَعًا في خُطَّةٍ لِلمُسَاعَدَةِ في دَفْعِ الإيْجَارِ.

اسْألْ كُلَّ الأصْحَابِ

تَعَجَّبْتُ مِنْ رَدِّ مَرْزُوقٍ، وَسَألْتُهُ بَعْدَمَا خَرَجْنَا مِن بَيْتِ أيْمَن: "كيفَ تَعْرِفُ في أُمُورِ الهُوِيَّةِ؟". صَمتَ مَرْزُوقٌ قَليْلًا ثُمَّ قالَ: "لأنّي أيْضًا لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ إثْبَاتُ هُوِيَّةٍ عِنْدَمَا وَصَلْتُ إلى هُنَا، لا لِي وَلَا لأبِي وَأُمّي". تَعَجَّبْتُ أكْثَرَ، "لِماذا؟"، "هُناكَ الكَثِيْرُ مِمَّا لا تَعْرِفُهُ يا ثَامِرُ"، قالَها مَرْزُوقٌ وعلى فَمِهِ نِصْفُ ابْتِسَامَةٍ.

في بَيْتِ مَرْزُوقٍ سَاعَدَنَا وَالِدُهُ بِأنِ اتَّصلَ بِمُحَامٍ مُخْتَصٍّ في قَوانِيْنِ الهِجْرَةِ وَاللُّجُوءِ. أَخْبَرَهُ أنَّ أيْمَن وَأُسْرَتَهُ لَديْهِمْ وَثَائِقُ لُجُوءٍ حَصَلُوا عَليْها لَمَّا دَخَلُوا إلى بِلادِنَا، ذَلِكَ لأنَّهُمْ تَرَكُوا جَمِيْعَ أوْرَاقِهِمْ لَمَّا اضْطُرُّوا لِلمُغَادَرةِ سَرِيْعًا بِسَبَبِ الحَرْبِ في بِلادِهِمْ، لَكِنَّ وَثَائِقَ اللُّجُوءِ لا تُسَاعِدُهُمْ كَثِيْرًا، وَمَا يَزَالُ هُنَاكَ الكَثِيْرُ مِنَ الأُمُورِ الَّتي لا يَسْتَطِيْعُونَ عَمَلَها، مِثل الدِّراسةِ في المَدَارِسِ النِّظَامِيَّةِ أو الحُصُولِ على تَصْرِيْحِ عَمَلٍ. دَارَ رَأسِيْ كَثِيْرًا يَومَها، فأنا لَمْ أُفكِّرْ مَرَّةً أنَّ أوْرَاقَنَا الثُّبُوتِيَّةَ، والَّتي تَحْفَظُها أُمّي في دُرْجٍ مُحْكَمٍ بِمِفْتَاحٍ في البَيْتِ، بِهذِهِ الأهمِّيَّةِ. طَمْأَنَ المُحامِي وَالِدَ مَرْزُوقٍ بِأنَّهُ سَيُسَاعِدُنَا؛ إذْ يَجِبُ أنْ لا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ دُونِ هُوِيَّةٍ تَضْمَنُ حُقوقَهُ الأَسَاسِيَّةَ كإنسانٍ... لَكِنَّ الأمْرَ لَنْ يَكونَ سَهْلًا، وَسَيَسْتَغْرِقُ وَقْتًا طَوِيْلًا على الأَغْلَبِ، كَمَا قالَ.

أمْضَيْتُ ذَلِكَ المَسَاء في بَيْتِ مَرْزُوقٍ. وَلأنَّ عَلَيْنا أنْ نُفَكِّرَ في مَا سَنَفْعَلُهُ معْ أيْمَنَ وَأسْرَتِهِ في الوَقْتِ الحَالِيِّ، أمْضَى مَرْزُوقٌ الوَقْتَ مُسْتَلْقِيًا على الأرْضِ بَيْنَما نَتكلَّمُ وَنُفَكِّرُ. ظَلَّ مُسْتَلْقِيًا حَتَّى عِنْدَمَا لَعِبْنَا بِألْعَابِهِ الإلِكْتْرُونِيَّةِ، وَلَمْ يَقُمْ إلَّا عِندَمَا جَهزَ العَشَاء، إلَّا أن فِكْرَةً خَطَرَتْ لِي وَنَحْنُ نَأكُلُ، مَاذا لَوْ رَتَّبْنَا معْ إدارةِ المَدْرسةِ بَرْنَامجًا بَعْدَ وَقْتِ الدِّرَاسَةِ لِيَدْرُسَ أيْمَنُ وَمَنْ مِثْلُهُ؟ أَعْجَبَتِ الْفِكْرَةُ مَرْزُوقًا. قالَ وَفي فَمِهِ قِطْعَةُ خُبْزٍ كَبِيْرَةٌ: "سَنُسَاعِدُ في الْبَرْنَامجِ أيْضًا".

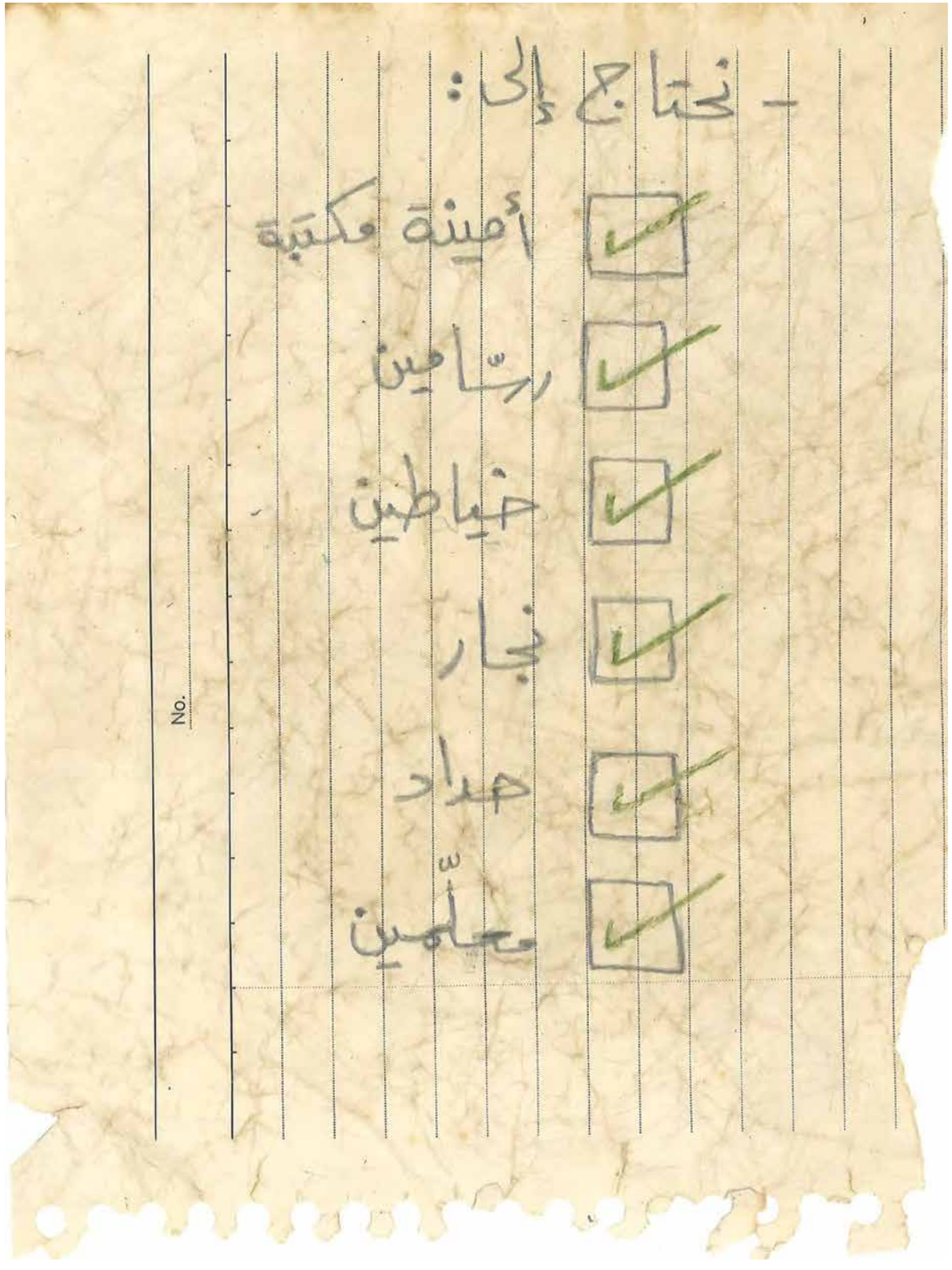

اسْألْ كُلَّ الأصْحَابِ

في اليَوْمِ التَّالِي، أَخْبَرْنَا رَائِدَ النَّشَاطِ بالْفِكْرَةِ الَّتي أعْجَبَتْهُ، قالَ إنَّ عَلَيْنَا الآن أنْ نُعِدَّ لها بِالتَّنْسِيقِ مَعْ إدارةِ المَدْرَسةِ، وأنْ نَقْتَرِحَ فَرِيْقًا لِيَعْمَلَ على البَرْنامجِ مَعَ الصِّغَارِ. كانَ مَرْزُوقٌ وَقْتَها يَتَقافَزُ كَعَادَتِهِ عِنْدَمَا تَكُونُ هُناكَ فِكْرَةٌ مُشَوِّقَةٌ. سَأَلْتُهُ مِنْ أيْنَ سَنَأتِي بِفَرِيْقٍ؟ فَقالَ إنَّهُ يَعْرِفُ الْكَثِيْرَ مِمَّنْ سَيُحِبُّونَ الْعَمَلَ على هذا البَرْنَامِجِ! وَفِعْلًا بَدأنَا بِالتَّوَاصُلِ مَعَ الجَمِيعِ... كَلَّمْنَا رَسَّامِينَ تَعَرَّفَ عَلَيْهِمْ مَرْزُوقٌ في أحَدِ المَعَارِضِ، زَمِيْلَةَ أُمِّي وَالَّتي تُجِيْدُ الْحِيَاكَةَ، عَمِّيَ المُعَلِّمَ في إحْدَى المَدَارِسِ، أعْضَاء جَمْعِيَّةِ الحيِّ الَّذي تَقَعُ فيهِ مَدْرَسَتُنَا، صَاحِبَ الوَرْشَةِ القَرِيْبَةِ مِن المَدْرَسَةِ، أَمِيْنَةَ مَكْتَبَةِ المَدِيْنَةِ، كَذَلِكَ بَعْضَ الطُّلَّابِ مِنْ مَدْرَسَتِنَا أعْجَبَتْهُمْ الفِكْرَةُ، بالإضَافَةِ إلى مُتَطَوِّعِيْنَ مِنْ أُسَرِنَا... وَسُرْعَانَ مَا أَصْبَحَ لَدَيْنَا فَرِيْقٌ كَبِيْرٌ وَمُسْتَعِدٌّ لِلْعَمَلِ.

وَاجِهْ كُلَّ الصِّعَابِ

لمْ يَكُنْ إِقْنَاعُ خَالَةِ أَيْمَنَ بِالْفِكْرَةِ سَهْلًا، فَمَا الَّذِي يَضْمَنُ لَها أنَّ أَحَدًا لَنْ يَسْأَلَ الصِّغَارَ عَنْ بِطَاقَاتِ الهُوِيَّةِ في المَدْرسةِ؟ هِيَ تَشْعُرُ بِالْقَلَقِ، كَما أنَّ على أيْمَنَ والكَثيْرِ مِمَّن هُمْ مِثلَهُ، أنْ يَعْمَلُوا في البَيْعِ لِتَوْفِيرِ النُّقودِ بَدَلًا مِنْ "هدْرِ وَقْتِهِمْ على بَرْنامِجِ أطْفَالٍ".. هكذا تَقُولُ خَالةُ أيْمَنَ. حَزِنَتْ مَرْيَمُ أُخْتُ أيْمَنَ الصُّغْرَى... إذًا لا يُوجَدُ بَرْنَامجٌ ولا مَدْرسةٌ ولا أَلْعَابٌ؟

سَادَ صَمْتٌ قَصِيْرٌ، سُرْعَانَ ما قَالتِ الخَالَةُ بَعْدَها إنَّها تُرِيْدُ مَصْلحَتَهُمْ فَقطْ، فَمِنْ أيْنَ لَهُمْ بِالنُّقودِ؟ ابْتَسَمَ مَرْزُوقٌ: "مَاذا لَوْ تَمَكَّنَّا مِنْ تَوْفِيْرِ المَبْلغِ الَّذي يَجْمَعُونَهُ مِن البَيْعِ؟"، نَظَرَتْ إلَيْهِ الخَالَةُ بِاهْتِمَامٍ وَعَادَتِ السَّعَادَةُ إلى وَجْهِ مَرْيَمِ الصَّغِيْرةِ، وَقَدْ بَدَا أنَّ مَرْزُوقًا لَدَيْهِ حَلٌّ. سَنُقِيْمُ سُوقَ مَخْبُوزَاتٍ أسْبُوعِيًّا نُوَفِّرُ بِمَا نَكْسِبُهُ فِيهِ الْمَبَالِغَ الَّتِي كَانَ يَجْمَعُها الفِتْيَانُ مِنْ بَيْعِ المَنَاشِفِ وَقَلَائِدِ الْقُلِّ وَالْعِلْكَةِ، وَسَنَعْمَلُ مَعًا جَمِيْعًا على تَنْظِيمِهِ. هَزَّتْ خَالةُ أيْمَنَ رَأسَها: "لَيْسَتْ فِكْرةً سَيِّئةً أبَدًا! وَسَأَصْنَعُ لَكُمْ حَلْوىَ شَعْبِيَّةً لِبَيْعِها هُناكَ أيْضًا".

وَاجِهْ كُلَّ الصِّعَابِ

كُنَّا قَدْ اتَّفَقْنَا أَخِيْرًا على حُلُولٍ مُنَاسِبَةٍ، فَمُشْكِلَةُ الهُوِيَّةِ يَعْمَلُ المُحَامِي على حَلِّها وَمُسَاعَدَتِهِمْ، وَلَدَيْنَا الْكَثِيْرُ مِنَ المُتَطَوِّعِيْنَ لِتَنْفِيْذِ البَرْنَامِجِ، اسْتَطَعْنَا أَيْضًا أنْ نَجِدَ حَلًّا نُوَفِّرُ بِهِ مَبَالِغَ مُنَاسِبَةً، بَدَلًا مِنْ أنْ يَبِيْعَ الفِتْيَانُ في المَحَطَّاتِ والْشَّوارِعِ... لَكِنَّ شَيْئًا بَدَا نَاقِصًا. كُنْتُ سَعِيْدًا لَكِنِّي أَعْرِفُ جَيِّدًا أنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا نَاقِصًا! مَا هُوَ يا تُرَى؟ تَلَفَتُّ أبْحَثُ عَنْ مَرْزُوقٍ لَكِنَّهُ لَيْسَ هُنَا.

خَرَجْتُ مِنَ المَبْنَى فَوَجَدْتُهُ يَقِفُ في الخَارِجِ، رَآنِي أَقْتَرِبُ فَجَلَسَ عَلى الأَرْضِ وَجَلَسْتُ بِجِوارِهِ، حَيْثُ تَقْتَرِبُ الأَفْكَارُ مِنَّا: "هُنَاكَ شَيءٌ نَاقِصٌ يا ثَامِرُ.. ماذا نَسِيْنا؟". هَزَزْتُ رَأسِي مُوافِقًا وَصَمَتْنا نُفَكِّرُ.

عَمَلُكَ سَوْفَ يُضِيءُ دُرُوبَا

خِلالَ شَهْرٍ مِنَ الإِعْدَادِ، كانَ بَرْنَامجُ ما بَعْدَ المَدْرسةِ قَدْ بَدأَ، لَمْ يَحْضُرْ أيْمَنُ وأصْدِقاؤُهُ مِنَ البَاعَةِ فَقطْ، بَلْ وَصَلَ خَبَرُ الْبَرْنَامجِ إلى صِغَارٍ كُثْرٍ مِثْلِهِمْ في أحْيَاءٍ مُتَفَرّقَةٍ في المَدِيْنَةِ. كُلُّهُمْ يُرِيْدُونَ الانْضِمَامَ. وَكانَ هذا الْبَرْنَامجُ حُلْمًا، اسْتَطَعْنَا فِيهِ أنْ نُشْرِكَ الجَمِيْعَ في بَرامجَ مُفِيْدةٍ لِلْفِتْيانِ. كانَ هُنَاكَ، بِالإِضَافَةِ إلى البَرَامِجِ التَّعْلِيْميَّةِ، بَرْنَامجُ كُرةِ قَدَمٍ، وَوَرْشَةُ نِجَارةٍ وَحِدَادَةٍ لِلتَّدْرِيْبِ، وَحِصَّةُ تَايكوَنْدُو أُسْبُوعِيَّةٌ. أمَّا الفَتَياتُ كَمَرْيَمَ فَكُنَّ يَتَدَرَّبْنَ بَعْدَ الدِّراسةِ على الفُنونِ والطَّهْوِ، وَلَدَيْهِنَّ حِصَّةُ حِيَاكةٍ، حَيْثُ صَنَعْنَ فَسَاتِينَ بَسِيْطةً لَكِنَّها مُلَوَّنَةٌ وَجَمِيْلَةٌ، كانَ الجَمِيْعُ سَعِيْدًا، وَبَدَا أنّي وَمَرْزُوقٌ قَدْ نَسِيْنَا أوْ تَنَاسَيْنَا الشَّيءَ النَّاقِصَ.

قَبْلَ نِهايةِ الفَصْلِ الدِّراسِيِّ وَخِتَامِ البَرْنَامجِ، جَلَسْتُ وَمَرْزُوقٌ مَعَ المُتَطَوِّعِيْنَ نُفَكِّرُ، كَيْفَ يُمْكِنُ أنْ نَمْنَحَ المُشَارِكِيْنَ فِيهِ ذِكْرَى جَمِيْلةً لا تُنْسَى أبَدًا؟ قالتْ إحْدَاهُنَّ يُمْكِنُنَا أنْ نَجْمَعَ مَبَالِغَ وَنَشْتَرِي لَهُمْ بَعْضَ الْألعَابِ، فَكَّرَ آخَرُ... أوْ نَأْخُذَهُمْ في رِحْلَةٍ! إلى الْبَحْرِ مَثَلًا. كانَتِ الْأفْكارُ كُلُّها جَمِيْلةً وَحَيْرَتُنَا تَزْدَادُ. فَجْأةً هَتَفَ مَرْزُوقٌ: "وَلِمَ لا نَسْأَلُهُمْ عَمَّا يُرِيْدُونَ؟". هَزَزْنَا رُؤُوسَنَا مُوافِقِيْنَ.

عَمَلُكَ سَوْفَ يُضِيء دُرُوبًا

في الْيَومِ التَّالِي جَمَعْنَا الفِتْيَانَ وَالْفَتَيَاتِ المُشَارِكِيْنَ في البَرْنَامِجِ، وَفِعْلًا سَأَلْنَاهُمْ... أيَّ نَشَاطٍ يُحِبُّونَ أنْ يُنْهُوا بِهِ هذهِ التَّجْرِبَةَ. وَبَيْنَما عَلَتْ أَصْوَاتُ النِّقَاشِ وَازْدَادتْ حَيْرَةُ الجَمِيْعِ، وَقَفَتْ مَرْيَمُ الصَّغِيْرَةُ وَاقْتَرَبَتْ مِنَّا، سَأَلْتُها: "ماذا تُحِبِّيْنَ يا مَرْيَمُ؟". قَالَتْ: "أنا أُرِيْدُ أنْ أَلْعَبَ في فَرِيْقِ كُرَةِ القَدَمِ... أنا أَتَدَرَّبُ معْ أيْمَنَ كُلَّ يَوْمٍ وَأَصْبَحْتُ مَاهِرَةً". فاجَأَنِي طَلَبُها وَنَظَرْتُ إلى زُمَلائِي. قَالَ رَائِدُ النَّشَاطِ الَّذي كانَ يَقِفُ قَرِيْبًا إنَّها فِكْرَةٌ جَمِيْلَةٌ، لِمَ لا تَكُونُ هُناكَ فُرْصَةٌ لِتَجْرِبَةِ الأَنْشِطَةِ المُخْتلِفَةِ؟ عَرَضْنَا الفِكْرَةَ على المُشَارِكِيْنَ الَّذينَ كانُوا ما يَزَالونَ يُفَكِّرُونَ، وَتَتَابَعَتِ الأَصْواتُ مُوافِقَةً، فَالكُلُّ يُحِبُّ التَّجَارِبَ الجَدِيْدَةَ.

وهذا ما كانَ. لمَّا تَدَرَّبَتْ مَرْيَمُ أكْثَرَ على كُرَةِ القَدَمِ صَارَتْ بَارِعَةً فيْها، إحْدَى مَجْمُوعَاتِ الفِتْيَانِ صَنَعَتْ أَلَذَّ الحَلَوِيَّاتِ في بَرْنَامجِ الطَّهْوِ، أيْمَنُ أُعْجِبَ جِدًّا بِبرْنَامجِ الحِيَاكَةِ، وَقَرَّرَ أنْ يُسَاعِدَ خَالَتَهُ بِرَتْقِ المَلابِسِ في البَيتِ. أمَّا سَارةُ، إحْدى الفتياتِ في بَرْنامجِ ما بَعْدَ المَدْرسةِ، فَأَحَبَّتِ النِّجَارةَ كَثِيْرًا! قالتْ إنَّها تَسْتَطيعُ أنْ تَصْنَعَ الآنَ، بِما تَعَلَّمَتْهُ، لُعْبَةً خَشَبِيَّةً كانتْ تُفكّر بِها مُدَّةً طَوِيْلةً، وَأجْمَعَتِ الفَتَيَاتُ على أنَّ التَّايْكوَنْدو مُهِمٌّ للدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ، وَأنَّهُنَّ يُرِدْنَ إتْقَانَهُ. فاجَأنَا المُشَارِكُونَ بَعْدَ ذلكَ بأنَّهُمْ صَنَعُوا لَوْحَةَ فُسَيْفِسَاء فَنِيَّةً رَائِعَةً لِيَتِمَّ تَعْلِيْقُها في المَدْرسةِ كَشُكْرٍ مِنْهُمْ. هذا ما كُنَّا نَسِيْناهُ إذًا! أنْ نُعْطِي المُشَارِكِيْنَ خَيَاراتٍ مُخْتلِفَةً حَتَّى يَجِدُوا ما يُحِبُّونَهُ وَحْدهمْ، ألَا نِسْتحِقُّ جَميْعُنَا أنْ نَخْتَارَ؟

حَتَّى لوْ أبْصَرْتُ حُرُوبًا

صَارَتْ لَدَيْنَا الآن فِكْرَةٌ أفْضَلُ عَمَّا يُمْكِنُنَا عَمَلُهُ في نِهايةِ البَرْنامجِ. وَقَفَ مَرْزُوقٌ أمَامَ فَرِيْقِ المُتَطَوِّعِيْنَ وقال: "لَدَيَّ وَثَامِرٍ فِكْرَةٌ مُنَاسِبةٌ... عَرْضٌ لِلمَواهِبِ المُخْتَلِفةِ". عَلتِ الأصْواتُ مُسْتَغْرِبَةً أوَّلَ الأمْرِ: "أيُّ مَواهِبَ؟ هؤلاءِ الصِّغَارُ يُشَارِكُون لأوَّلِ مَرَّةٍ في بَرْنامجٍ مُشَابِهٍ، مّا الَّذي سَيُقَدِّمُونَه في عَرْضِ المَوَاهب؟". قالَ مَرْزُوقٌ إنَّ عَلَيْنا أنْ لا نَنْسَى أنَّهُم كانوا يَعِيْشُون حَيَاةً طَبِيْعِيَّةً قَبْلَ أنْ تَقُومَ الحَرْبُ في بِلادِهِمْ، وَرُبَّما كانَتْ لَدَيْهِمْ أنْشِطَةٌ خَارِجَ المدْرَسةِ، لِنَسْأَلْهُمْ فَقطْ وَنُجَرِّبْ! بَدأَ أفْرادُ الفَرِيقِ يَهُزُّون رُؤوسَهُمْ مَوافِقين، قَدْ تَكُونُ فِكْرَةً جَيِّدَةً!

ما أزَالُ أذْكُرُ وُجُوهَ الفِتْيَانِ وَالفَتَياتِ المُشَارِكِيْنَ لمَّا أخْبَرْنَاهُمْ عَنْ خُطَّتِنَا لِنِهايَةِ البَرْنامجِ... عَرْضٌ لِلْمَوَاهِبِ! ظَهَرتِ الْحَيْرَةُ في عُيونِهِمْ أوَّلَ الأمْرِ، لكِنَّها سُرْعَانَ ما صَارَتْ تَلْمَعُ مِنَ الأفْكَارِ، عَلَيْهِمْ أنْ يَخْتَارُوا وَحْدَهُمْ الْفِكْرَةَ الَّتي تُعْجِبُهُمْ وَتُنَاسِبُهُمْ لِلْعَرْضِ! صَفَّقَ المُشَارِكُون حَمَاسَةً لِلْفِكْرَةِ.

لَكِنْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ تَمَّ إيْقَافُ سُوقِ المخْبُوزَاتِ الأُسْبُوعِيِّ الَّذي كُنَّا نُقِيمُهُ لِتَوْفِيرِ مَبَالِغَ بَسِيْطَةٍ لأُسَرِ المُشَارِكِين، اعْتَذَرَ مِنَّا الضَّابِطُ الَّذي أمَرَ بِإغْلاقِ السُّوقِ: "فِكْرَتُكُمْ إنسَانِيَّةٌ حَقًّا يا صِغَاري، لَكِنْ لا يُمْكِنُ البَيْعُ مِنْ دُوْنِ تَصَارِيحَ وَمَعَايِيرَ مُحَدَّدَةٍ"، وَمَضَى. مَاذا نَصْنَعُ الآن؟ هلْ سَيَنْتَهي البَرْنامجُ وَمَعَهُ سُوقُ المخْبُوزاتِ الأُسْبُوعِيُّ في الوَقْتِ نَفسِهِ؟ "الكِبَارُ يُعَقِّدُون الأُمورَ أكثَرَ مِنَ اللَّازِمِ"، ابْتَسَمَ مَرْزُوقٌ وَجَلَسْنَا على الأرْضِ نُفَكِّرُ.

مَضَيْنَا نُعِدُّ لِعَرْضِ المواهِبِ عَلى الرُّغْمِ مِنْ شُعُورِنَا بِالإحْبَاطِ. فاجَأَتْنَا اخْتِيَارَاتُ المُشَارِكِينَ لِمَا سَيُقَدِّمُونَهُ. وَسَاعَدَ فَرِيْقُ المُتَطَوِّعِينَ بِالتَّرْتِيْبَاتِ، وَجَدْنَا وَقْتَها أنَّنَا يُمْكِنُ أنْ نُقِيْمَ عَرْضًا كَبِيْرًا نَدْعُو إلَيْهِ الْكَثِيْرَ مِنْ سُكَّانِ المَدِيْنَةِ، مُسْتَوى العُرُوضِ مُمْتَازٌ فَلِمَ لا نَفْعَلُ؟ حَدَّدْنَا اليَوْمَ المُنَاسِبَ لِعَرْضِ المَوَاهِبِ، وَجَهَّزْنَا الدَّعَوَاتِ وَالمنْشُورَاتِ، بِحَيثُ تُعرَضُ في أهَمِّ المَوَاقِعِ الإلِكْتْرُونِيَّةِ المعْرُوفَةِ، لا بُدَّ أنْ يَسْمَعَ الجَمِيْعُ عَنْ هذا العَرْضِ، أخَذَتْنَا الحَمَاسَةُ وَتَنَاسَيْنَا إلْغَاءَ سُوقِ المخْبُوزَاتِ الأُسْبُوعِيِّ وَمَا سَنَفْعَلُهُ بِشأنِهِ مُؤَقَّتًا، إلَّا أنَّهُ ظَلَّ يُؤَرِّقُنَا... فَنَحْنُ لا نُرِيْدُ أنْ يَعُودَ المُشَارِكُون لِلْبَيْعِ في الشَّوارِعِ بَعْدَ كُلِّ هذا.

سَتَدُورُ الدُّنْيَا وَتُغَنّي

جَاء يَوْمُ العَرْضِ. لَبِسَ المُشَارِكُونَ أَجْمَلَ ما لَدَيْهِمْ وَاسْتَعَدُّوا، وَعَلى مَسْرَحِ مَدْرَسَتِنَا الصَّغِيْرِ المُكْتَظِّ، قَدَّمْتُ وَمَرْزُوقٌ فِكْرَةَ البَرْنَامجِ وَقِصَّةَ أَيْمَنَ وَالصِّغَارِ الآخَرِيْنَ. شَكَرْنَا بَعْدَها فَرِيْقَ المُتَطَوِّعِيْنَ الَّذي سَاعَدَنَا كَثِيْرًا على تَنْفِيْذِ بَرْنَامجِ ما بَعْدَ المدْرَسةِ، لِتَكُونَ نِهايَتُهُ عَرْضَ المَوَاهِبِ هذا: "شُكْرًا لِحُضُورِكُمْ وَنَرْجُو أَنْ تَسْتَمْتِعُوا بِالعُرُوضِ المُخْتَلِفَةِ".

سَتَدُورُ الدُّنْيَا وَتُغَنّي

أَوَّلُ فَقْرَةٍ كَانَتْ لِشامٍ، فَتاةٌ في العَاشِرَةِ قَدَّمَتْ عَزْفًا بَدِيْعًا عَلى آلَةِ البِيانُو. تَبَسَّمَ الحُضُورُ بِحُزْنٍ لمَّا أَخْبَرَتْهُمْ كَيْفَ كَانَتْ تَتَدَرَّبُ كُلَّ يَوْمٍ قَبْلَ أَنْ تُدَمِّرَ الحَرْبُ بَيْتَها وَالبِيانُو مَعَهُ. بَعْدَها كَانَ دَوْرُ فُرَاتٍ، وَالَّذِي أَلْقَى قَصِيْدَةً جَمِيْلَةً نَظَمَها بِنَفْسِهِ، حَكَى في قَصِيْدَتِهِ عَنِ الصَّبَاحِ وَالأَمَلِ وَالوَطَنِ، وَتَرَكَنا جَمِيْعًا نَتَأَمَّلُ. تَقَدَّمَتْ مَرْيَمُ الصَّغِيْرَةُ وَاسْتَعْرَضَتْ مَهاراتِها في كُرَةِ القَدَمِ، كَانَتْ قَدْ أَتْقَنَتِ الآنَ بَعْضَ الحَرَكَاتِ الاسْتِعْرَاضِيَّةِ، وَصَفَّقَ لها الحُضُورُ بِسَعَادَةٍ. أَمَّا أَيْمَنُ فَقَدْ اسْتَعْرَضَ مَهاراتِهِ في لُعْبَةِ الجَمْبَازِ. فاجَأَتْنَا جَمِيْعًا حَرَكَاتُه الَّتي قَالَ إِنَّه طَالَما تَدَرَّبَ عَلَيْها في بِلادِهِ سَاعَاتٍ طَوِيْلَةً... كُلَّ يَومٍ، وَالآنَ يَعُودُ إِلَيْها. رَسَمَتْ بَعْدَهُ سَارَةُ ذَاتُ الاثْنَيْ عَشَرَ عَامًا لَوْحَةً رَائِعَةً بِاسْتِخْدَامِ بَخَّاخَاتِ الأَلْوَانِ، يَتَوَسَّطُ لَوْحَتَها المَسْجِدُ الأَقْصَى، وَتُحِيْطُ بِهِ الْكَثِيْرُ مِنَ الْأَشْجَارِ الخَضْرَاء. وَتَقَدَّمَ بَعْدَها فَتَيَانِ قَامَا بِتَمْثِيلِ عَرْضٍ إِيْحَائِيٍّ صَامِتٍ عَنِ السَّعَادَةِ وَالحُزْنِ.

صَفَّقَ الحُضُورُ مُتَأَثِّرِين. تَوَالَتِ العُرُوضُ الرَّائِعَةُ بَعْدَها، عُرُوضٌ قَصِيْرَةٌ لَكِنَّها جَمِيْلَةٌ تَرَكَتْنَا مَشْدُوهِيْنَ، مَنْ يُصَدِّقُ أَنَّ كُلَّ هذا يَصْدُرُ مِنْ صِغَارٍ كَانُوا يَبِيْعُونَ في الشَّوَارِعِ قَبْلَ أَسَابِيْعَ فَقَطْ؟ خَتَمَتِ العَرْضَ نَصْرٌ، الفَتَاةُ الصَّغِيْرَةُ ذَاتُ التِّسْعِ سَنَواتٍ حِيْنَ غَنَّتْ أُغْنِيَةً عَذْبَةً عَنْ شَمْسٍ تُشْرِقُ بَعْدَ لَيْلٍ طَوِيْلٍ.

تُسْعِدُ أرْوَاحًا وَقُلُوبًا

لمَّا انْتَهى العَرْضُ، وَقَفَ مُدِيْرُ المدْرَسةِ الَّذي كانَ حَاضِرًا مَعْ زائِدِ النَّشَاطِ على المسْرَحِ لِتَقْدِيْمِ مُفَاجَأةٍ، شَكَرَنا فَصَفَّقْنَا لَهُ مُطَوَّلًا. لَمْ يَكُنِ البَرْنَامجُ لِيَنْجَحَ لَوْ لمْ تَسْمَحِ المدْرَسَةُ باسْتِخْدَامِ كُلِّ مَرافِقِها، وَلوْلَا مُشَارَكةُ بَعْضِ المُعَلِّمِينَ وَالطُّلَّابِ كَمُتَطَوِّعِيْنَ أيْضًا. تَنَحْنَحَ المُدِيْرُ: "لمْ تَسْمَعُوا المُفَاجَأَةَ بَعْدُ! قَرَّرَتِ المَدْرَسةُ اسْتِمْرَارَ بَرْنامجِ مَا بَعْدَ المدْرَسةِ لِلمُشَارِكِيْنَ الحَالِيِّين، وَأنْ تَسْمَحَ لِطُلَّابِ المدْرَسةِ كَذلِكَ بِمُشَارَكَتِهِمْ في البَرْنَامجِ نَفسِهِ لِيَتَمَكَّنَ الجَمِيْعُ مِنَ الانْدِمَاجِ وَتَكْوِينِ صَدَاقاتٍ جَدِيْدةٍ". صَفَّقَ الحُضُورُ مُبْتَهِجِيْنَ. عُدْنَا مِنْ عَرْضِ المَوَاهِبِ مَشْحُونِينَ بالأَمَلِ في أنْ يَحْمِلَ الغَدُ الَّذي لمْ يَأتِ بَعْدُ أحْلامًا وَإنْجَازَاتٍ أَكْبَرَ.

تُسْعِدُ أرْوَاحًا وَقُلُوبًا

وَقَفْتُ عَلى شُرْفَتِي قَبْلَ أنْ أَسْتَعِدَّ لِلنَّوْمِ، يَا لَها مِنْ لَيْلَةٍ جَمِيْلَةٍ! تَأَمَّلْتُ حَيَّنَا، لمْ نَلْعَبْ هُنَا مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيْلَةٍ، فَقَدْ كُنَّا مَشْغُولِيْنَ بِالبَرنَامجِ، لَكِنْ كانَ الأَمْرُ يَسْتَحِقُّ وَقْتَنَا وَجُهْدَنَا بِلا شَكٍّ... فَرْحَةُ المُشَارِكينَ اليَومَ وَطِوالَ البرْنَامجِ، الفَرِيْقُ الَّذي كَوَّنَّاهُ، السَّعَادَةُ الَّتي كُنَّا نَجِدُها وَنَحْنُ نَعُودُ مُتْعَبِينَ كُلَّ مَسَاءٍ لِنُكْمِلَ وَاجِبَاتِنَا المَدْرَسِيَّةَ عَلى أيِّ حَالٍ، الانْبِهارُ الَّذي سَادَ القَاعَةَ اليَومَ بِمَواهِبِ المُشْتَرِكِيْنَ، وَالأَمَلُ الَّذي كانَ يَتَجَدَّدُ مَعْ كُلِّ عَرْضٍ قَدَّمُوهُ، يَا لَها مِنْ لَيْلَةٍ جَمِيْلَةٍ حَقًّا.

نَظَرْتُ نَحْوَ بَيْتِ مَرْزُوقٍ فَوَجَدْتُهُ يَجْلِسُ عَلى الرَّصِيْفِ أَمَامَ بَيْتِهِ مُطْرِقًا. نَزَلْتُ خُلْسَةً وَجَلَسْتُ بِجِوَارِهِ، حَيَّانِي بِابْتِسَامَتِهِ لمَّا رَآنِي لَكِنَّهُ عَادَ مِنْ فَوْرِهِ إلى الوُجُومِ. "هَلْ مَا زِلْتَ تَبْحَثُ عَنْ أَفْكَارٍ جُنُونِيَّةٍ عَلى الأَرْضِ يَا مَرْزُوقُ؟". "دَعْكَ مِنْ هذا يَا ثَامِرُ وَقُلْ لِي الآنَ! كَيْفَ سَنَحُلُّ مُشْكِلَةَ السُّوقِ الأُسْبُوعِيِّ؟ وَمِنْ أَيْنَ سَنَجِدُ الأُسَرُ مَا تَدْفَعُ بِهِ ثَمَنَ الإِيْجَارِ والطَّعَامِ؟". أَخْبَرْتُهُ إنَّ عَلَيْنَا أنْ نَسْتَمْتِعَ بِنَجَاحِنَا اليَومَ، لَكِنَّ أَسْئِلَةَ مَرْزُوقٍ المُلِحَّةَ أَنْسَتْنِي فَرَحَ اللَّيْلَةِ العَارِمَ، جَلَسْنَا مُطَوَّلًا نُفَكِّرُ، اقْتَرَبَتِ اللَّيْلَةُ مِنْ مُنْتَصَفِها وَلا أَفْكَارَ حَتَّى الآنَ. أَيْنَ سَنَجِدُ الفِكْرَةَ التَّالِيَةَ؟

وَالحُزْنُ سَتَتْبَعُهُ البُشْرَى

في الصَّباحِ التَّالي، رافَقْتُ مَرْزُوقًا إلى المدْرَسةِ، كانَ الجَمِيْعُ سَعيْدًا بِعَرْضِ المَوَاهِبِ، فَهذا يُحَيِّيْنَا، وَهذا يَقُولُ إنَّهُ سَيُشَارِكُ كَمُتَطَوِّعٍ في البَرْنَامجِ في الفَصْلِ المُقْبِلِ... كُنَّا قَدْ خَطَّطْنَا أنْ نُغيِّرَ العَالَمَ، ثُمَّ اكْتَفَيْنَا بِتَغييْرِ حَياةِ شَخْصٍ وَاحِدٍ فَقطْ، وَإذا بِنَا نُعِدُّ بَرْنامجًا يُسَاعِدُ العَشَراتِ مِنَ الفِتْيَانِ والفَتَيَاتِ. كُنَّا ما نَزَالُ نُفَكِّرُ في مُشْكِلَةِ سُوْقِ المخْبُوزاتِ الأُسْبُوعيِّ، إلَّا أنَّ مَرْزُوقًا قالَ فَجْأةً: "أنْجَزْنَا عَمَلًا رَائِعًا يا ثَامِرُ، وَيجبُ أنْ نَكُونَ فَخُوريْنَ بِهِ". هَزَزْتُ رَأسِي مُوافِقًا، هذا ما كُنْتُ أقُولُهُ أمْسِ عَلى أيِّ حَالٍ، ضَحِكَ مَرْزُوقٌ أخِيْرًا. ولمَّا انْتَصَفَ ذاكَ النَّهارُ دَعَانَا رَائِدُ النَّشَاطِ لِزِيَارَةِ مَكْتَبِ المُدِيْرِ مَعَهُ: "هُناكَ أَمْرٌ مُهِمٌّ يَجِبُ أنْ تَعْرِفُوهُ"...

في مَكْتَبِ المُدِيرِ رَحَّبَ بِنَا ثُمَّ أَخْبَرَنا إنَّ لَدَيهِ عَرْضًا مُهِمًّا مِنْ أَحَدِ المُسْتَثْمِرِينَ، حَيْثُ اتَّصَلَ رَئِيْسُ إحْدَى الشَّرِكاتِ الكُبْرَى، وَالَّتي تُدِيْرُ أَسْوَاقًا تِجَارِيَّةً، بِالمُدِيْرِ، وَقالَ إنَّهُ حَضَرَ عَرْضَ المَوَاهِبِ وَتَأثَّرَ كَثِيْرًا بِقِصَصِ الْفِتْيَانِ وَالْفَتَيَاتِ المُشَارِكِيْنَ... وَبِبرْنَامجنا أيْضًا، وَيُحِبُّ أنْ يَبْدَأَ بَرْنامجًا لِتَقْدِيْمِ مِنَحٍ تَعْلِيْمِيَّةٍ لهؤلاءِ الصِّغارِ المَوْهُوبِيْنَ، معْ مَدْرَسَتِنا وَمعْ بِضْعِ مَدَارِسَ أُخْرَى كَذلِكَ. كانَ المُدِيْرُ يَتَكلَّمُ بِرَصَانَتِهِ المُعْتَادَةِ، بَيْنَما نُحَاوِلُ، مَرْزُوقٌ وَأنَا، ألَّا نَقْفِزَ مِنَ الفَرَحِ! أَضافَ المُدِيْرُ إنَّ عَلَيْنَا أنْ نُقَابِلَ المُسْتَثْمِرَ لِشَرْحِ فِكْرَةِ بَرْنامجنَا بِالتَّفْصِيْلِ: "أنَا فَخُورٌ بِكُمْ يا شَبَابُ". شَكَرْنَاهُ وَخَرَجْنَا سُعَدَاء بَيْنَما كُنْتُ أُحَاوِلُ أنْ أَمْنَعَ مَرْزُوقًا مِنْ أنْ يَتَقَافَزَ أَمَامَهُ.

وَالحُزْنُ سَتَتْبَعُهُ البُشْرَى

اتَّصَلَ بي مَرْزُوقٌ ذَلِكَ المَساء وَأَخْبَرَني إنَّ صَديْقَ وَالِدِهِ المُحَامِي تَوصَّلَ إلى حَلٍّ مَعْ مَكْتَبِ الهِجْرَةِ، بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ المُهاجِرونَ، هَرَبًا مِنَ الحَرْبِ، أنْ يَحْصُلُوا عَلى هُوِيَّاتٍ تَسْمَحُ لَهُمْ بِالدِّراسةِ، وَرُبَّما بِالعَملِ... لَكِنَّ ذَلِكَ أَصْعَبُ قَليْلًا، خَبَرٌ رائِعٌ على أيِّ حَالٍ! وَأَخيْرًا سَيلْتَحِقُ أَيْمَنُ وَأمْثَالُهُ بِالمَدَارِسِ بِشَكْلٍ مُنْتَظَمٍ، وَهذا سَيُساعِدُنَا مَعَ المُسْتَثْمِرِ!

قَابَلْنَا المُسْتَثْمِرَ الَّذي يَوَدُّ دَعْمَ بَرنَامجنَا، بَعْدَ أيَّامٍ مِنَ الاسْتِعْدَادِ. اسْتَعَرْتُ حَقيْبَةَ أَبي الَّتي يَحْمِلُها أَحْيَانًا لِلْعَمَلِ، وَأَحْضَرَ مَرْزُوقٌ ثَلاثَ رَبْطَاتِ عُنُقٍ مِنْ دُرْجِ وَالِدِهِ لِنَرْتَديْها نَحْنُ وَأَيْمَنُ الَّذي رَافَقَنا إلى الاجْتِماعِ. أَصبَحَ أَيْمَنُ مِنْ أَعَزِّ الأَصْدِقاءِ مُنْذُ قَابَلْنَاهُ في المَحَطَّةِ، ثُمَّ تَطَفَّلِنَا بِالدُّخُولِ إلى بَيْتِهِ... الصَّدَاقاتُ تَتَكَوَّنُ بِطَرِيْقَةٍ عَجِيْبَةٍ أَحْيَانًا.

في مَكْتَبِ المُسْتَثْمِرِ، أَرَيْنَاهُ صُوَرًا لِبرْنَامجنَا وَلِكُلِّ الإنْجَازاتِ الَّتي حَقَّقَها المُشَارِكونَ فيهِ. عَرَّفْنَاهُ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا. عَرَّفْنَاهُ بِالتَّفَاصِيْلِ الصَّغِيرةِ الَّتي تُمَيِّزُهُمْ، وَالقِصَصِ الَّتي أَوْصَلَتْهُمْ إلى هُنَا، كَمَا عَرَضْنَا عَليهِ صُوَرًا لِسُوقِ المَخْبُوزَاتِ الأُسْبُوعيِّ الَّذي تَمَّ إيْقافُهُ.

”عَمَلٌ رَائِعٌ يا شَبابُ.. سَتَكونونَ أَنْتُمْ نُقْطَةَ تَوَاصُلِنَا بِالمُشَارِكيْنَ حَتَّى نَخْتَارَ لَهُمْ مَدارِسَ تُنَاسِبُ مَوَاهِبَهُمْ“. تَبادَلْنَا النَّظَراتِ فَرِحِيْنَ. أَضافَ بَعْدَها: ”أَمَّا بالنِّسْبةِ لِسُوقِ المَخْبُوزَاتِ فَمَا رَأيُكُمْ بِمُقَابَلَةِ أَعْضَاءِ مَجْلِسِ إدارَةِ الشَّركةِ صَبَاحَ الأَحَدِ؟ سَيُحِبُّونَ سَماعَ التَّفاصِيلِ مِنْكُمْ“.

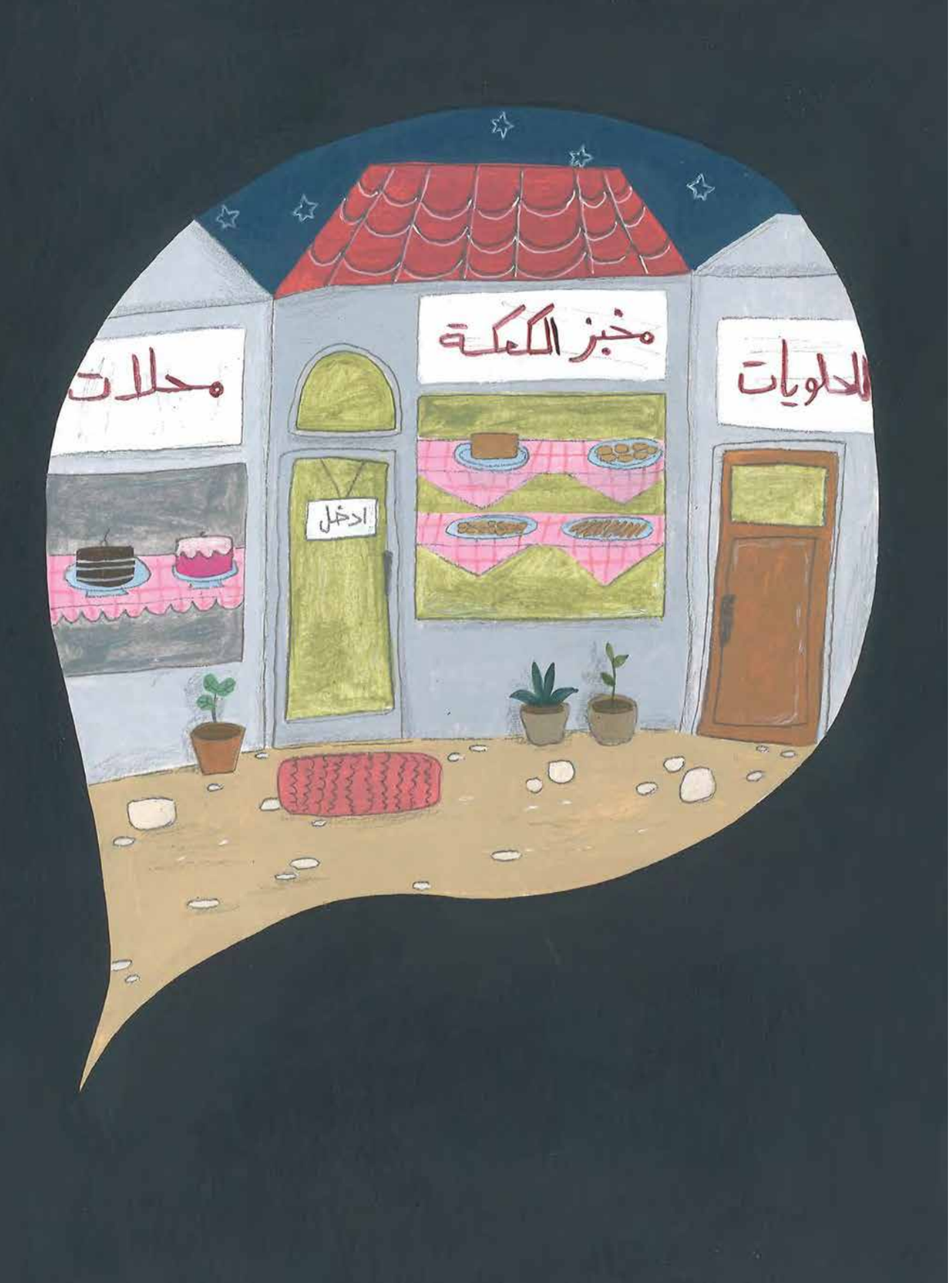

أَحْلامُكَ تَتَحَقَّقُ تَتَرَى

بَيْنَما كُنَّا نُعِدُّ عَرْضًا خَاصًّا بِسوقِ المَخْبُوزَاتِ الأُسْبُوعيِّ، لاحَظْتُ وُجُومَ مَرْزُوقٍ: "مَا الأَمْرُ يا صَديقي؟ كُلُّ المُشْكِلاتِ الَّتي وَاجَهْنَاها تُوشِكُ أنْ تُحَلَّ بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذا لَمْ تُحَلَّ الآنَ فَسَنَبْذُلُ جُهُودًا مُضَاعَفَةً. أَرْجُو أنْ لا تَيْأَسَ الآنَ يا مِرْزُوقُ".. "لا أبَدًا، لَكِنّي أُفَكِّرُ في أَمْرٍ آخَرَ يا ثَامِرُ، يَبْدُو أَنَّكَ سَتُكْمِلُ البَرْنَامجَ وَحْدَكَ، فَقَدْ حَدَّدَ وَالِدي مَوْعِدًا قَريبًا جِدًّا لِلعَوْدَةِ إلى الوَطَنِ". فاجَأَني كَلامُهُ: "أيُّ عَودَةٍ؟ لِماذَا تُغَادِرُون؟".. "أنا لَمْ أُخْبِرْكَ مِنْ قَبْلُ يا ثَامِرُ إنّي كأيْمَن والبَقيَّةِ، جِئْتُ مَعْ والِدِيَّ هَرَبًا مِن الحَرْبِ، إلَّا أنَّ ظُروفَنَا كَانتْ أَفْضَلَ قَليْلًا، والآنَ... انْتَهتِ الحَرْبُ في بِلادِي يا صَدِيْقِي العَزِيزَ، وَيَقُولُ والِدي إنَّهُ يُحِبُّ أنْ يَكون هُناكَ مَعْ كُلِّ الَّذيْن يَعْمَلون لإعادَةِ بِنَاءِ الوَطَنِ. أنا أُحِبُّ ذَلِكَ أيْضًا إلَّا أنّي حَزِيْنٌ لِفُراقِ وَطَني الثّاني، حَيْثُ عَرَفْتُ أَهْلًا وأَصْدِقاء كُثْرًا". هَزَزْتُ رَأسِي بَعْدَ أنْ أَنْهى مَرْزُوقٌ كَلامَهُ لَكِنّي صَمَتُّ مُدَّةً طَوِيْلَةً! لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أنَّ مَرْزُوقًا جَاء بِسَبَبِ الحَرْبِ، ثُمَّ مَاذا أَفْعَلُ الآنَ؟ سَيُغَادِرُني أَعَزُّ صَدِيْقٍ، وَأَعُودُ بِلا أَفْكَارٍ وَلا خُطَطٍ جُنُونيَّةٍ، ولا بَرنَامجٍ يُغَيِّرُ العَالَمَ!...

أَكْمَلْنَا العَمَلَ على عَرْضِ سُوقِ المَخْبُوزَاتِ الأُسْبُوعيِّ بِصَمْتٍ، فَعَلَيْنَا أنْ نَكُون مُسْتَعِدِّيْن لِتَقْدِيمِهِ أَمَامَ مَجلِسِ إدارَةِ الشَّرِكَةِ الَّتي تُديْرُ أَسْوَاقًا تِجارِيَّةً كُبْرَى.

لَمْ أَنَمْ يَوْمَها وَأنَا أُفَكِّرُ في مَرْزُوقٍ. فَكَّرْتُ أيْضًا في الحَرْبِ الَّتي تُفَرِّقُ النَّاسَ وَتَجْمَعُهُمْ بِآخَرِيْن، تُبْعِدُهُمْ لَكِنَّهُمْ يَعُودُون أَقْوَى وَأَكْثَرَ حُبًّا لأَوْطَانِهِمْ، مَا أَبْشَعَ الحُروبَ، وَمَا أَحْلَى السَّلامَ الَّذي يَبْدَأُ مِنْ أَهالي هذهِ الأَوْطَانِ... وَهُمْ يَبْنُونَها بَيْتًا بَيْتًا، وَيَبْنُون الإنْسَانَ فَرْدًا فَرْدًا.

قَدَّمْنَا عَرْضَنَا أَمَامَ مَجلِسِ الإدارَةِ الَّذي اسْتَمَعَ بِشَوْقٍ ثُمَّ فَاجَأَنَا بِعَرْضٍ آخَرَ... كانُوا قَدْ أَعَدُّوهُ مُسْبَقًا لَمَّا سَمِعُوا بِالْقِصَّةِ مِنْ رَئِيسِ الشَّرِكَةِ. يُرِيْدُ المَجْلِسُ إنْشَاء سِلْسِلَةِ مَحلَّاتٍ تِجَارِيَّةٍ تَجْمَعُ مُنْتَجَاتِ أُسَرِ الفِتْيَانِ والفَتَيَاتِ، بِحَيْثُ يَكونُ هُنَاكَ مَكَانٌ لَهُمْ في كُلِّ سُوقٍ تِجَارِيٍّ كَبِيْرٍ... وَلَنْ تَكُون هذهِ المَحَلَّاتُ أُسْبُوعيَّةً كَمَا كَانَ سُوقُ المَخْبُوزَاتِ، بَلْ تَعمَلُ طِوالَ الأُسْبوعِ، وَوِفْقَ المَعَايِيرِ النِّظَاميَّةِ. صَمَتْنَا مُتَفَاجِئِيْن مِنْ هذا العَرْضِ السَّخِيِّ حَتَّى ضَحِكَ الرَّئِيْسُ: "يَبْدُو أنَّ العَرْضَ لا يُنَاسِبُكُمْ، لا بَأْسَ سَنَجِدُ اسْتِخْدَامًا آخَرَ لِهذهِ المَحلَّاتِ". تَدارَكْنَا أَنْفُسَنَا لِنَخْرُجَ مِنْ وَقْعِ المُفَاجَأةِ إلى شُكْرِ أَعضَاءِ مَجْلِسِ الإدارَةِ بِحَماسَةٍ كَبِيْرَةٍ... الحَمْدُلِلّه!

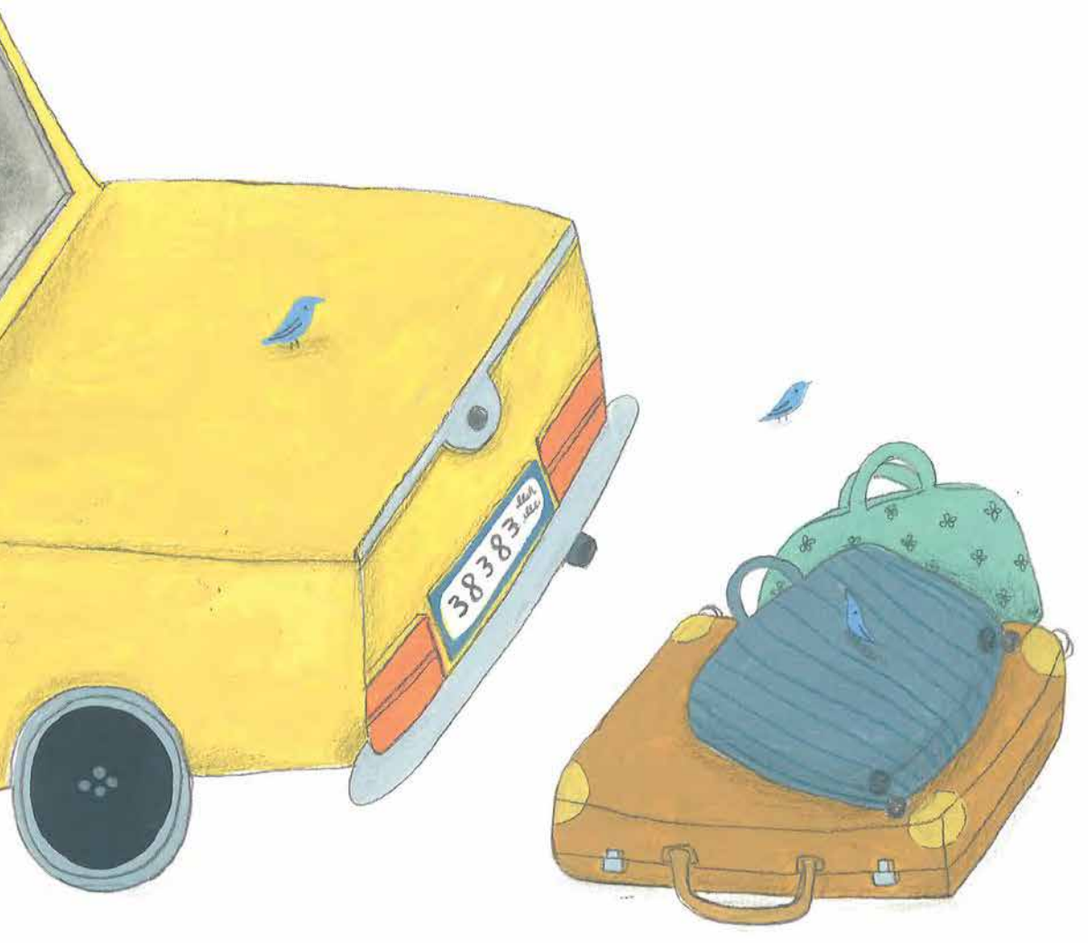

وَصَداقَتُنَا دِفءُ قُلُوبٍ

هذا الصَّباحُ المُخْتَلِفُ يُعِيْدُ إليَّ ذِكْرَياتٍ وَيَأخُذُ أُخْرَى، ها أَنَا عَلى الشُّرْفَةِ ذَاتِها الَّتي الْتَقَيْتُ فِيْها مَرْزُوقًا العَزِيْزَ وَأَنا أَقِفُ عَلَيْها أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَها هُوَ وَالِدُهُ يُحَمِّلُ سَيَّارَتَهُمْ اسْتِعْدَادًا لِلسَّفَرِ! أَمْضَيْتُ مَساءَ أمْسِ مَعْ مَرْزُوقٍ نَجُوبُ المدِيْنةَ وَمَعَنَا أَيْمَنُ. كانَ يُرِيْدُ أنْ يُوَدِّعَ الجَمِيْعَ، وَتَوَاعَدْنَا على أنْ نَلْتَقِي في الصَّباحِ قَبْلَ سَفَرِهِ.

وَصَداقَتُنَا دِفءُ قُلُوبِ

ارْتَدَيْتُ ثِيابي وَنَزَلْتُ لِأُقابِلَ مَرْزُوقًا في الحَيِّ كَمَا نَفْعَلُ دائِمًا. لَوَّحَ لي لَمَّا رَآني: "صَباحُ الخَيْرِ يا جَاري العَزيزْ"، فَشَعَرْتُ بِغُصَّةٍ، وَلِلمَرَّةِ الأَخيرَةِ جَلَسْنَا على الأَرْضِ نُفَكِّرُ. هذهِ المرَّةَ لَمْ نَكُنْ نُحَاوِلُ تَغْيِيرَ العَالَمِ، كُنَّا نَحْتَاجُ فِكْرَةً تُبْقِينا على اتِّصَالٍ دَائِمٍ لا أَكْثَرَ، كَمُكَالَمَاتِ الفِيْدِيُو مَثَلًا.

جَاءَ أَيْمَنُ أَخِيرًا وَقَدْ تَأَخَّرَ لِأَنَّهُ كانَ يُساعِدُ خالَتَهُ في حَمْلِ مَخْبُوزَاتِها إلى السُّوقِ التِّجَارِيِّ، حَيْثُ تَبِيعُها كُلَّ يَومٍ... أَيْمَنُ ظَرِيفٌ جِدًّا، اسْتَطَاعَ أَنْ يُحَوِّلَ لَحْظَةَ الوَدَاعِ الحَزِينَةَ إلى لَحْظَةِ ضَحِكٍ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ: "ما هذا الجوُّ الكَئِيبُ؟ أُفَضِّلُ أَنْ أَعُودَ لِبَيْعِ العِلْكَةِ". هَمَّ أَيْمَنُ بِأَنْ يَقُومَ بَيْنَما كُنَّا نَجُرُّهُ ضَاحِكِينَ مِنْ كِلْتَا يَدَيْهِ لِيَجْلِسَ.

"كَمْ سَأَفْتَقِدُ بَرْنامجَ مَا بَعْدَ المدْرَسةِ".. قَالَ مَرْزُوقٌ ذَلِكَ، مُحَاوِلًا تَغْيِيرَ الجَوِّ. "ولماذا تَفْتَقِدُهُ؟ . أَجَبْتُهُ . سَنَسْتَمِرُّ في التَّخْطِيطِ معًا كُلَّ يَوْمٍ". هَزَّ مَرْزُوقٌ رَأسَهُ: "وَغَالِبًا سَنَحْتَاجُ أَفْكَارًا أُخْرَى لِتَغيِيرِ العَالَمِ هُنَاكَ... في وَطَني".

وَالِدُ مَرْزُوقٍ نَادَاهُ بَعْدَها لِيَركبَ السَّيَّارَةَ، وَقَفْنَا وَعَانَقْنَا صَدِيقَنَا العَزِيزَ مُطَوَّلًا، سَيَتَّصِلُ بِنا حَالَمَا تَهْبِطُ الطَّائِرَةُ في بِلادِهِ. لَوَّحْتُ لَهُ وَقَدْ بَدَأَتِ السَّيَّارَةُ بِالتَّحَرُّكِ: "أَرَاكَ قَرِيبًا يا جَارُ"، فَلَوَّحَ لي مُبْتَسِمًا ابْتِسَامَتَهُ الوَاسِعَةَ المُعْتَادَةَ.

رند عادل صالح صابر

(سيرة ذاتية)

سعودية الجنسية. من مواليد العام 1988. مديرة دار كادي ورمادي لنشر وتوزيع كتب الأطفال في جدة. تلقت وشاركت في دورات تدريبية وورش في مجالات: التعليم المبكر، والتعليم المبني على أسس معتمدة، والرسم والتصميم باستخدام برامج عدة.

من إنجازاتها:

- 9 قصص منشورة.
- مساهمات في إصدارات أخرى للطفل.
- جائزة أفضل بوستر بحث خلال منتدى جامعة دار الحكمة البحثي، 2017.

فكرة لتغيير العالم

تأليف: رند صابر

فكرة القصة آنية وضرورية في أيامنا هذه. فهي تتكلم على التهجير بسبب الحرب ومشكلة الأطفال الباعة على الطرقات. الشخصيتان الأساسيتان في القصة تقومان بإيجاد حلول لمشكلة عمالة الأطفال وحق التعلم. يمكن أن نفكر بأن نجعلهم جزءا منا، فنسعى لإعطائهم حقهم في حياة كريمة يستحقونها. هم أطفال كل ذنبهم أن بلادهم وقعت تحت وطأة حروب أجبرتهم على مغادرة بلادهم رغما عنهم. نستثمر طاقاتهم وإمكانياتهم ومواهبهم كي لا يكونوا عالة على المجتمع. شخصيات الرواية نامية فاعلة، تأتينا على نحو متدرج هادئ، مع كثير من الإثارة والتشويق إن على مستوى الشخصيات أو الأحداث.

مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
البنك العربي - ARAB BANK

الآن ناشرون وموزعون
ALAAN PUBLISHERS & DISTRIBUTORS

القصص الفائزة بجائزة عبد الحميد شومان لأدب الأطفال 2017 - 2018